عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ
يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾
خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ
ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

[٤١] ومن ذلك أنه جل وعلا قادر علىٰ إهلاك هؤلاء الكفار، واستبدالهم بخلق آخر أطوع منهم وأفضل، ولن يعجزه ذلك جل في علاه، بل لا يستطيع أن يمنعه سبحانه أحد، ولكن مشيئته اقتضت تأخير عقوبتهم إلىٰ يوم القيامة.

[٤٢-٤٣-٤٤] ثم أمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن يترك هؤلاء الكفار يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم؛ حتىٰ يلاقوا يوم القيامة الذي كانوا يوعدون فيه بالعذاب، وهو اليوم الذي يخرجون فيه من قبورهم مسرعين إلىٰ مشهد القيامة والحساب؛ كأنهم في سباق أيهم يصل إلىٰ النصب المركوز في نهاية السباق أولًا، كما كانوا في الدنيا يتسابقون إلىٰ الإلهة التي وضعوها للعبادة من دون الله، وفي حال خروجهم من قبورهم وسيرهم مسرعين تكون أبصارهم منكسرة نحو الأرض، تغشاهم رهبة وذلة وحقارة شديدة، ثم بين سبحانه أن ذلك اليوم وما فيه من أهوال عظام كانوا قد أنذروا في الدنيا أنهم ملاقوه ولكن كانوا به يكذبون. وفي هذه الآيات إثبات يوم القيامة، كما أن فيها حض النبي ﷺ بالاستمرار في الدعوة وأن يشتغل بما أمر به ولا يثنيه كلامهم؛ لأنه ﷺ مبلغ رسالة ربه ومبشر المؤمنين ومنذر الكافرين، والهداية بيد رب العالمين.

سورة نوح

سورة نوح مكيّة وآياتها ثمان وعشرون آية.

[١] بدأت السورة بإخبار أن الله بعث نوحًا إلىٰ قومه، وأمره أن يحذرهم من عبادة الأصنام ومن الشرك والذنوب والمعاصي؛ من قبل أن يأتيهم عذاب موجع في الدنيا والآخرة.

ونوح عليه السلام هو أول الأنبياء من ذرية آدم، وهو شيخ الأنبياء لأنه أطولهم عمرًا، وهو من أولي العزم من الرسل وقوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ جعلت بعض المفسرين يقولون: إن نوحًا لم يرسل للبشر كلهم؛ بل أرسل فقط إلىٰ قومه، وقال آخرون: إنه أرسل إلىٰ الناس كلهم؛ لأنه لا يوجد علىٰ الأرض في زمنه غير قومه، واستدلوا بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، قالوا: لو أن هناك أممًا غير أمته لم يَدْعُ عليهم.

[٢-٣-٤] ثم أخبر جل وعلا أن نوحًا ابتدر أمر الله فقال: ياقومي إني نذير لكم بيِّن الإنذار من عقاب الله إن استمررتم علىٰ كفركم وجحودكم، وأطلب منكم: أن تعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تخافوا عقابه، وأن تطيعوني فيما آمركم به وأنهاكم عنه، وهذه هي خلاصة الدعوة: عبادة الله وطاعته؛ فإن استجبتم لهذه الأمور فإن الله سبحانه يَمْحُ ذنوبكم ويتجاوز عنها، ويمد في أعماركم إلىٰ الوقت الذي حدده الله، واعلموا أن الموت إذا جاء لا يؤخر أبدًا مهما كان الأمر، ولو كنتم تعلمون ذلك علم يقين لسارعتم إلىٰ الإيمان والطاعة.

[٥-٦] وقال نوح لربه: رب إني دعوت قومي في جميع الأوقات؛ ولم أترك دعوتهم أبدًا لا في ليل ولا في نهار، ومع ذلك لم تزدهم دعوتي لهم إلىٰ الإيمان والحق إلا هربًا وإعراضًا عنه وإصرارًا علىٰ الكفر والعصيان.

[٧] وقال نوح لربه أيضًا: وإني يارب كلما دعوتهم إلىٰ توحيدك والإيمان بك الذي هو سبب لمغفرة ذنوبهم؛ أدخلوا أصابعهم في آذانهم لئلَّا يسمعوا كلامي، وغطوا وجوههم بالثياب مبالغة في الإعراض، وأصرُّوا علىٰ الكفر والشرك، واستكبروا عن قبول التوحيد استكبارًا شديدًا.

[٨-٩-١٠] وقال نوح أيضًا: ثم إني يارب جهرتُ بدعوتهم إلىٰ التوحيد وصدعتُ به بين ظهرانيهم بمسمع منهم كلهم. وجئتهم يارب من كل باب ظننت أن يحصل منه المقصود من استجابتهم للتوحيد، فأعلنت لهم الدعوة بصوتٍ مرتفع أحيانًا، وأسررت لهم بها إسرارًا كثيرًا بصوت خفيٍّ أحيانًا أخرىٰ.

[٨-٩-١٠] ثم قال نوح لقومه: ياقوم اطلبوا المغفرة من ربكم علىٰ ما بدر منكم من شرك وتكذيب ومعاص، واعلموا أن الله كثير المغفرة لعباده الموحدين التائبين المستغفرين.

[١١-١٢] وقال نوح لقومه: واعلموا ياقوم أن من فوائد اللجوء إلىٰ الله واستغفاره أن الله يرزقكم بأنواع من الرزق؛ فيرسل السماء عليكم بالمطر المتتابع؛ فتحصل لكم المنافع، ويكثّر لكم أموالكم وأولادكم، ويجعل لكم بساتين وحدائق، ويجعل لكم أنهارًا جارية حَسَنَةَ المنظر، كثيرة الفائدة.

[١٣-١٤-١٥-١٦] ثم قال نوح لقومه: ما لكم ياقوم لا تخافون من الله وعظمته وكبريائه. وهو الذي أوجدكم من العدم، وقد خلقكم تدرجًا خلْقًا من بعد خلق. وقال لهم أيضًا: ألم تنظروا وتشاهدوا يا قوم كيف خلق الله السماوات السبع وأوجدها من العدم، وجعل كل سماءٍ فوق الأخرىٰ. وجعل القمر في هذه السماوات نورًا لأهل الأرض، وجعل الشمس مصباحًا وهّاجًا مضيئًا؟!!

[١٧-١٨-١٩-٢٠] وقال نوح أيضًا: واعلموا أن الله وحده هو الذي خلق وأنشأ أصل أبيكم آدم من الأرض، ثم يعيدكم الله فيها حين تموتون فتدفنون في هذه الأرض، ثم يخرجكم منها مرَّةً أخرىٰ يوم البعث والنشور للجزاء والحساب. وقال أيضًا: واعلموا أن الله و حده هو الذي مهَّد الأرض وبسطها وفرشها لكم وهيأها لانتفاعكم بها؛ لتستطيعوا السير في طرقاتها الواسعة، وهذا لا ينافي أن تكون الأرض كروية.

[٢١-٢٢] ثم قال نوح: رب إن قومي عصوني فيما أمرتهم به، وأنكروا ما دعوتهم إليه؛ بل إنهم تركوني واتبع الضعفاء منهم رؤساءهم الضالين الذين طغوا بأموالهم واغتروا بأولادهم؛ فلم تزدهم أموالهم وأولادهم إلا ضلالًا علىٰ ضلالهم، وبعدًا من رحمة ربهم، ومكر هؤلاء الرؤساء مكرًا عظيمًا غاية في الخبث.

[٢٣] وقال الرؤساء والقادة للأتباع: لا تتركوا عبادة آلهتكم، ولا يصرفنكم نوح عنها؛ فلا تتركوا عبادة ود ويغوث ويعوق ونسر، وهذه أسماء رجال صالحين؛ لما ماتوا زيَّن لهم الشيطان أن يصوروا صورهم علىٰ هيئة تماثيل ليتذكروهم فينشطوا في العبادة، ثم طال العهد، وتوالت الأجيال، فدعاهم إبليس اللعين إلىٰ عبادتها من دون الله، وقال للأجيال اللاحقة: إن آباءكم ما صوروا تلك الصور، ولا عملوا تلك التماثيل إلا لعبادتها؛ فأطاعوه وعبدوها من دون الله.

[٢٤] وقال نوح لربه: لقد أضلَّ الرؤساء والأتباع كثيرًا من الخلق وصدوهم عن توحيد الله والإيمان به، فلا تزدْ يارب هؤلاء الظالمين المجاوزين حدودهم بالشرك والمعاصي، والصدّ عن سبيل الله إلا ضلالًا وبعدًا عن الحق، وقد دعا نوح عليهم بعد أن قال الله له: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦].

[٢٥] ثم أخبر جل وعلا أنَّه بسبب خطيئة قوم نوح، وتكذيبهم لنبيهم، وإصرارهم علىٰ عبادة غير الله والإشراك به؛ أغرقهم الله بالطوفان الذي لم يبق منهم ولم يذر أحدًا، ثم يوم القيامة يدخلون نار جهنم يعذبون فيها، ويقاسون حرَّها، ولم يكن لهم - حين نزول

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

العذاب بهم - نصيرٌ ينصرهم، ولا معاونٌ يعاونهم ويدفع عنهم ما حلَّ بهم.

[٢٦-٢٧] وبعد أن يئس نوح عليه السلام من إيمانهم وإقلاعهم عن الكفر، دعا عليهم بالهلاك؛ فقال: رب لا تترك علىٰ وجه الأرض من الكفار أحدًا حيًّا؛ فإنك إن أبقيت منهم أحدًا أضلوا عبادك عن توحيدك والإيمان بك، وإنهم لا يلدون إلا الكفرة الفجرة أمثالهم. وقد دعا عليهم نوح بعد أن قال الله له: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦].

وبعد هذا المشوار الطويل في الدعوة، وبعد أن أخبره ربُّه تعالىٰ بأنه لن يؤمن من قومه إلا العدد القليل الذي آمن، حق لنوح أن ييئس، لأنه لم يترك شيئًا يقربهم إلىٰ الإيمان بالله إلا فعله؟ وهذا الزمن الطويل الذي قضاه نوح في دعوتهم أليس موجبًا لليأس؟.

[٢٨] وبعد أن دعا نوح علىٰ الكفار، دعا لنفسه ولأبويه، ثم دعا لكل من دخل بيته مؤمنًا بالله ورسوله، ثم دعا للمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والرحمة، ثم عاد إلىٰ الدعاء علىٰ الكافرين؛ فقال: ولا تزد يارب المتصفين بالظلم إلا هلاكًا وخسرانًا ودمارًا في الدنيا والآخرة.

فصلىٰ الله علىٰ نوح وعلىٰ نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم.